بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء؛ نواصل دروسنا في تفسير القرآن العظيم في شهر القرآن، وبعد أن فرغنا من تفسير سورة المزمل، نذكر شيئًا من حِكمها العظام، وفوائدها الجسام.

فمن حكم السورة العظام وفوائدها الجسام:

الفائدة الأولى:

أن أعظم الأمور التي يستعين بها المسلم على مهام أموره في دينه ودنياه بعد عون الله، وهي من عون الله: قيام الليل، وذكر الله -عزَّ وجلَّ- ولا سيما بأسمائه الحسنى، ودعاؤه بها، واتخاذ الله وكيلًا، والتوكل عليه، والصبر مع البعد عن ما يؤذي ومن يؤذي في ذلك الأمر.

من اتخذ هذه الأمور فإنها -بإذن الله عزّ وجلَّ- تكون له عونًا عظيمًا على مهامه في أموره كلها، قيام الليل، وذكر الله ولا سيما بأسمائه الحسنى، ودعاؤه بها، واتخذ الله وكيلًا، والتوكل عليه، والصبر مع البعد عن ما يؤذي ومن يؤذي في ذلك الأمر.

الفائدة الثانية:

أن الداعية إلى الله بحق على طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم لابد أن أن يلقى المتاعب في طلب العلم والدعوة، ومن ذلك معاداة المخالفين له، وسبهم له، وشتمهم له، و(٠:٣:٤٦) عليه.

وعلاج ذلك: بالصبر والهجر الجميل الذي لا عدوان فيه.

إذا كنت داعيًا إلى الله -عزَّ وجلّ- بما عندك من العلم بحق على التوحيد والسنة فاعلم أنك ستلقى المتاعب، وأنك ستؤذى، وأنه سينال منك؛ لأن قائدك في ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم.

واعلم أن علاج ذلك: أن تصبر لله -عزَّ وجلّ- مخلصًا لله في صبرك هذا، وأن تهجر أهل الأهواء والبدع هجرًا جميلًا لا عدوان فيه ولا أذى.

ومن هذا الهجران: أن لا تتجارى مع كلام المخالفين الذين يخالفونك؛ بَيِّن الحق، وبيِّن وجهه، ولا تجعل دينك مجالًا للخصومات، ولا تتجارى مع كلام المخالفين، (٢١:٥:٠) أن كلام المخالفين إنما هو من كلام السفهاء، والتجاري مع كلام السفهاء ... الإنسان العاقل.

الفائدة الثالثة:

أن حفظ القرآن يسير؛ لكن العمل به ثقيل يحتاج إلى مجاهدة النفس والصبر، ويتبع ذلك أن العمل بالعلم ثقيل، ويحتاج إلى مجاهدة النفس، وصبر عريض.

الفائدة الرابعة:

أن الربَّ الخالق المالك المدبر، المصلح الكون والمخلوقات، بما أسبغ عليهم من النعم، هو المستحق للعبادة -سبحانه وتعالى-.

الفائدة الخامسة:

أن الإيمان باليوم والآخر يقتضي العمل لاتقاء أهواله، من آمن باليوم الآخر فإن هذا يقتضي منه أن يعمل جاهدًا لاتقاء أهوال ذلك اليوم.

الفائدة السادسة:

أن الأمن في يوم الفزع الأكبر إنما هو لمن وحد الله، وخافه في الدنيا، وأن الفزع الأكبر يوم القيامة لمن أشرك بالله وأمنه في الدنيا، فلا يجمع الله لعبده أمنين، ولا يجمع عليه خوفين، فمن خاف الله في الدنيا أمَّنه في الآخرة، ومن أمِن الله في الدنيا أخافه في الآخرة.

الفائدة السابعة:

أن أولي الألباب يتعظون بآيات القرآن، ويصلحون سيرهم إلى الله بها، فالقرآن هاديهم، والقرآن حاديهم، والقرآن علاجهم، يتدبرون كلام الله فيتعظون بمواعظه، يهتدون بهداه، ويثبتون على ذلك، ويعالجون أنفسهم بآيات الله -سبحانه وتعالى-.

الفائدة الثامنة:

أن الحكمة تقتضي ـ نراعاة أحوال الناس، والرفق بهم، والتخفيف عليهم ما أمكن. الحكمة تقتضي أن الإنسان يراعي أحوال الناس، فإن الله -عزَّ وجلَّ- وهو الحكيم يخفف عن الناس

مراعاة لأحوالهم، وهو رفيق يحب الرفق، فالحكمة تقتضي أن العبد يحرص على مراعاة أحوال الناس الذين معه، وعلى الرفق بهم، وعلى التخفيف عنهم ما أمكن.

الفائدة التاسعة:

أن مال الإنسان الذي يبقى هو ما يخرجه لله -عزَّ وجلَّ-، وما سواه فإما أن يبلى، وإما أن يفنى، وإما أن يموت عنه صاحبه ويتركه لغيره.

إذًا -أيها اللبيب العاقل- إن مالك الحقيقي هو الذي تخرجه في سبيل الله، هو الذي تنفقه في سبيل الله، حيث تجده عند ربك أضعافًا مضاعفة.

الفائدة العاشرة:

أن السعي في طلب الرزق من الأعمال الفاضلة التي يثاب عليها الإنسان إن أصلح النية، فإن الله قرن السعي في طلب الرزق بالجهاد في سبيله -سبحانه وتعالى-.

الفائدة الحادية عشر:

أنه يحسن بالمسلم إذا فرغ من عمل الخير أن يستغفر الله -سبحانه وتعالى-، فإن استغفار الله -عزَّ وجلَّ- بعد الفراغ من عمل الخير إن صادف تقصيرًا يرجى أن يمحوه، وإن لم يصادف تقصيرًا يرجى أن يكمل العمل، وأن يزيده كمالًا؛ ولذلك شُرع لنا إذا فرغنا من الصلاة المفروضة أن نقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، الله -عزَّ وجلَّ- شرع لنا نستغفر الله بعد الخير الذي نقدمه، وسنده عنده -سبحانه وتعالى-، فحسنٌ من المؤمن إذا فرغ من عمل الخير ألا يعجب بعمله، وأن يظن بنفسه التقصير، وأن يستغفر الله -سبحانه وتعالى-.